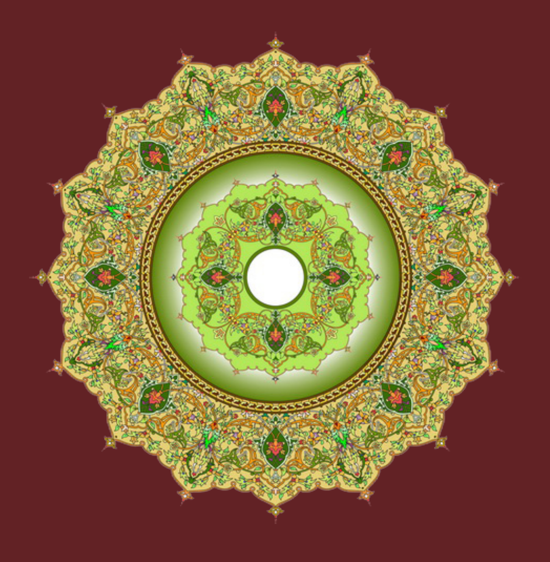


شرحٌ مختصرٌ لحديثِ: سيّدِ الاستغفار

تأليف

شيخ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شرحٌ مختصرٌ لحديثِ: سيّدِ الاستغفار

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فصلٌ في قولِه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ أنْ يَقُولَ العَبْد: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ) رواه البخاري.

قدِ اشتملَ هذا الحديثُ من المعارفِ الجليلةِ ما استحقَّ لأجلِها أن يكونَ سيّدَ



الاستغفارِ؛ فإنه صدَّرَه باعترافِ العبدِ بربوبيةِ اللهِ، ثم ثنَّاها بتوحيدِ الإلهيةِ بقوله: (لا إلهَ إلا أنت)، ثمَّ ذكَرَ اعترافَه بأنَّ اللهَ هو الذي خلقَه وأوجدَه ولم يكن شيئًا، فهو حقيقٌ بأنْ يتولَّى تمامَ الإحسانِ إليه؛ بمغفرةِ ذنوبِهِ، كما ابتدأَ الإحسانَ إليه بخَلْقه.

ثمَّ قال: (وأنا عبدُك): اعترَفَ له بالعبوديةِ، فإنّ العبدَ إذا خَرَج عمّا خلقه الله له من طاعتِه، ومعرفتِه، ومحبتِه، والإنابةِ إليه، والتوكُلِ عليه، فقد أبقَ من سيِّدِهِ، فإذا



تابَ ورَجَع إليه فقد راجعَ ما يُحِبُّه اللهُ منه، فيفرحُ اللهُ بهذه المراجعةِ، ولهذا أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن اللهَ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه مِن واجدِ راحلتِهِ، عليها طعامُه وشرابُه بعدَ يأسِه منها في الأرضِ المهْلكةِ، وهو سبحانَه هو الذي وفَّقه لها، وهو الذي ردَّها إليه، وهذا غايةُ ما يكون من الفضلِ والإحسانِ.

ثمَّ قال: (وأنا على عهدِك ووَعْدِك ما استطعتُ) أي: أنا مقيمٌ على عهدِك مُصدِّقٌ بوعدِك، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَهِد إلى عبادِه

عهدًا أمرهم فيه ونهاهم، ووعدهم على وفائهم بعهده أن يثيبَهم بأعلى المثوبات، فالعبد يسيرُ بين قيامه بعهد الله إليه، وتصديقِه بوعدِه.

ثمَّ قال: (أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ)

والاستعاذة بالله: الالتجاءُ إليه، والتحصُّنُ به، والهروبُ إليه من المُستعاذِ منه، كما يَتحصَّنُ الهاربُ من العدوّ بالحصن الذي ينجيه منه.



ثمَّ قال: (أبوء بنعمتك عليَّ) أي: أنا معترفٌ لك بإنعامك عليَّ، وأني أنا المذنب، فمنك الإحسانُ ومني الإساءةُ، فأنا أحمدك على نِعمك، وأنتَ أهلٌ لأن تُحْمَد، وأستغفرك لذنوبي.

ولهذا قال بعض العارفين: ينبغي للعبد أن تكون أنفاسُه كلُّها نَفَسَيْن: نَفَسًا يَحمد فيه ربَّه، ونَفَسًا يستغفره من ذَنْبه. ومتى شَهِدَ العبدُ هذين الأمرين استقامتْ له العبوديةُ، وتَرَقَّى في درجاتِ المعرفةِ والإيمانِ،



وتصاغرتْ إليه نفسُه، وتواضَعَ لربِّه. وهذا هو كمالُ العبوديةِ، وبه يَبرأُ العبدُ من العُجْبِ والكِبْرِ وزينةِ العمل. واللهُ الموفُق الهادي، والحمدُ لله وحده، وصلى الله على سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلَّم، ورضيَ اللهُ عن أصحابِ رسولِ الله أجمعين، وحسبُنا اللهُ ونعم الوكيل.

■ جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيميّة (١ / ١٥٧)